الفصل الأول

خصائص الحياة النفسية

لقد ورد لفظ « النفس » فى القرآن الكريم (٢٩٦ مرة) ففى صورة المفرد (١٤٠ مرة) ، وفى صورة الجمع (١٥٥ مرة) [١] ، وتدل على المعانى التالية :

(أ) للدلالة على الذات الإلهية [٢] :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ،

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧١٠ - ٧١٤

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم . تهامة بجدة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨

(٣) آل عمران : ٣٠ (٤) المائدة : ١١٦

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِه الرَّحْمَةَ ، أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِه وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّنَّاكَ فُتُوناً ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٢) .

(ب) للدلالة على الذات الإنسانية :

وتنقسم الآيات الدالة على ذلك إلى قسمين :

١ - ما يدل على الذات بجميع قواها المادية والمعنوية - أى الروح والجسد (٣) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) الأنعام : ٥٤ (٢) طه : ٤٠ - ٤١

(٣) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

مجمع اللّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

سيد عبد الحميد مرسي : النفس البشرية . مكتبة رهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، ص٤١

(٤) البقرة : ٤٨ (٥) البقرة : ٢٣٣ (٦) آل عمران : ١٤٥

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ ، إلاَّ أَنْ تَكُونَ تجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلاَ تُقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِى الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بالأَنْفِ وَالأُذُنَ بالأُذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

٢ - ما يدل على الذات من النشاط الحيوى ، أو القوة الداخلية للإنسان والمؤثرة عليه فى تفكيره ، وسلوكه (٦) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَةِ ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ

---

(١) النساء : ٢٩ (٢) المائدة : ٣٢ (٣) المائدة : ٤٥
(٤) الكهف : ٧٤ (٥) الزخرف : ٧١
(٦) إبراهيم محمد سرسيق : النفس الانسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩
مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ... ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (٨) .

---

(١) آل عمران : ١٥٤ (٢) التوبة : ١١٨ (٣) الكهف : ٦
(٤) يوسف : ٥٣ (٥) الأحزاب : ٣٧ (٦) فاطر : ٨
(٧) الحشر : ١٨ (٨) القيامة : ١٤

(جـ) ما يدل على العنصر غير المادى فى تكوين الإنسان [1] .

ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [4] .

وتدل هذه الآيات على أن الانفصال بين النفس والجسد يقع فى النوم ، والموت ، ولكن يظل هناك نوع من العلاقة بينهما موجودة فى حال النوم والموت ، الله أعلم به [5] .

عن حذيفة قال : كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام قال : « باسمك اللهم أموتُ وأحيا » ، وإذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشور » [6] .

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١
مجمع اللُّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣ ، ٦٧٤
الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٤٦٢

(٢) الأنعام : ٩٣ (٣) الزمر : ٤٢ (٤) الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٥) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ، ص ٢٨٤

(٦) رواه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام ، جـ ٧ ص ١٤٧

فالنصوص الشرعية دلّت دلالة واضحه على قبض الروح فى النوم ، وردها فى اليقظه ، والنائم ليس ميتاً - كما سبق - ، وكونه حياً لا يخفى على أحد ، ومن هنا سُمِّى النوم وفاة صغرى ، والموت وفاة كبرى [١]

وبذلك ندرك بالضرورة وجود علاقة بين الروح والجسد مع كونها متوفاة فى حال النوم حقيقة ، إلا أنها ليست كالوفاة الكبرى .

وكذلك فإن للروح تعلقاً فى الجسد فى حال الموت .

عن أبى طلحة أن نبى اللّه ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقُذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبِّث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث ، أمر براحلته ، فشدَّ عليها رحلها ، ثم مشى ، وتبعه أصحابه ، وقالوا : ما ترى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يافلان ابن فلان ، ويافلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم اللّه ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، قال : فقال عمر : يارسول اللّه ؛ ماتكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » [٢] .

عن ابن عباس رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبرين يُعذَّبان ، فقال : « إنهما ليُعذَّبان ، وما يُعذَّبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول اللّه ؛ لِمَ صنعت هذا ؟ ، فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » [٣] .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٧٠٤ ، ٥٧٠٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : قتل أبى جهل جـ ٥ ص ٨

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

ووجه الدلالة من الحديثين هو أن مخاطبة الرسول ﷺ لقتلى مشركى بدر فى قبورهم وكأنهم أحياء أمامه ، ثم إثباته السمع لهم ، أو اطلاعه على حال صاحبى القبرين ، يدلان على تعلق الروح بالجسد فى حال الموت ، حتى ولو بَلِى وتحلَّل الجسد ، واللّه أعلم بسره [١] .

ولقد عرَّف ابن القيم النفس بأنها « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جنس نورانى علوى خفيف حى متحرك ، ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد ، وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللّطيف ، بقى ذلك الجسم اللّطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالَم الأرواح .

وهذا القول هو الصواب فى المسألة ، وهو الذى لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسُنَّة وإجماع الصحابة وأدلة العقل ، والفطرة » [٢] .

« ومقصودنا بكونها جسماً إثبات الصفات والأفعال والأحكام التى دل عليها الشرع والعقل والحس ، من الحركة ، والانتقال ، والصعود والنزول ، ومباشرة النعم والعذاب ، واللّذة والألم ، وكونها تُحبس وتُرسل وتُقبض ، وتدخل وتخرج ، فلذلك أطلقنا عليها جسماً تحقيقاً لهذه المعانى » [٣] .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣١٥ - ٣١٧
محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠٢
محمد الغزالى : عقيدة المسلم . دار الكتب الحديثة . القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٦٤

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٩

ولقد ساق ابن القيم (١١٦ دليلاً) عن جسميتها منها [١] :

١ - قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [٢] .

ففى الآية ثلاثة أدلة : الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٣] .

وفيها أربعة أدلة :

أحدها : بسط الملائكة أيديهم لتناولها .

الثانى : وصفها بالإخراج والخروج .

الثالث : الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم .

الرابع : الإخبار عن مجيئها إلى ربها .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ [٤] .

وفيها ثلاثة أدلة :

أحدها : الإخبار بتوفى الأنفس بالليل .

الثانى : بعثها إلى أجسادها بالنهار .

الثالث : توفي الملائكة له عند الموت .

---

(١) ابن القيم : الروح (المرجع السابق) ص ٢٤٢ - ٢٦٤

(٢) الزمر : ٤٢ (٣) الأنعام : ٩٣ - ٩٤ (٤) الأنعام : ٦٠ - ٦١

٤ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (١) .

وفيها ثلاثة أدلة :

أحدها : وصفها بالرجوع .

الثانى : وصفها بالدخول .

الثالث : وصفها بالرضا (٢) .

ولذلك فإنه يجب أن نصفها بأنها جسم - لا جوهراً مجرداً - ، وإن كان الجسم يقبل القسمة إلى أجزاء ، فإن الأجزاء لا تخرج عن كونها أجساماً (٣) . وليس فى الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه ، فالفيزياء النووية أثبتت إنشطار الذرة ونواتها (٤) ، ولم يُقم الفلاسفة دليلاً أن فى الوجود ما لا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية ، وإنما هى دعاوى لا حقيقة لها (٥) .

فينبغى أن نتجنب وصف النفس بأنها جوهر مجرد ، كما يقول به الفلاسفة كأفلاطون وفلوطين وأتباعهما لما يأتى :

١ - للاختلاف فيما بينهم فى تحديد المراد بوصفهم لها بأنها جوهر على أقوال مختلفة منها :

(أ) الجوهر هو الموضوع الحقيقى للحمل ، وإذا عبَّرنا عنه بلغة الحدود المنطقية ، قلنا إنه الحد الذى يكون موضوعاً دائماً فى قضية حملية ، ولا يمكن أن يكون محمولاً ...

---

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٤٣

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٤

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) حاشية ص ٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٧ .

فديكارت مثلاً جعل اللّه جوهراً ، والنفوس الإنسانية دون أجسام جواهر ، والمادة ككل فى الكون جوهراً ، وسبينوزا [١] جعل اللّه أو الطبيعة جوهراً ... [٢] .

(ب) « الجوهر هو الماهية ، أو الخاصية الأساسية التى تعطى للشىء الجزئى وجوده ، وحقيقته » [٣] .

(جـ) « الجوهر هو ما لا يحتاج فى وجوده إلى أى شىء آخر ، أو ما له وجوده المستقل إستقلالاً مطلقاً عن أى شىء آخر » .

(د) « الجوهر هو ما يبقى هو هو ، بينما يقبل الصفات المتضادة ، أو الشىء الذى يظل ثابتاً لا يتغير » [٣] .

٢ - إن لفظ الجوهر ليس من لغة العرب ، وإنما لفظ مُعَرَّب [٤] .

٣ - إن الخلاف هو خلاف فى المعنى ، وليس بالألفاظ ، - كما سبق - وأن قضية الإيمان أولى من قضية حقيقة النفس البشرية ، فالمسلم يأخذ ما ورد فى الشرع ، ولا يزيد عليه إلا بما يمكن إثباته ، وتحقيقه ، وليس بالتخيل والظنون والهواجس .

كما أن الجنة والنار وَصِفَتا فى القرآن والسُّنَّة الصحيحة ، ولكن مع ذلك نؤمن بأن الشاهد غير الغائب .

---

(١) سبينوزا ، ماباروخ (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) فيلسوف مادى هولندى ، طردته الجالية اليهودية بأمستردام من مجمع اليهود ، ومؤلفاته الرئيسية هى « البحث اللاهوتى السياسى » و« علم الأخلاق »،وهو يرى أن الجوهر واحد على حين يرى أن الأحوال متعددة إلى ما لا نهاية .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٢٤٢

(٢) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٦ بتصرف .

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٧٧ - ٧٨

(٤) ابن تيمية : الفتاوى (مرجع سابق) جـ ٩ ص ٢٩٨

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا إن شئتم : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) » (٢) .

وإن الوصف سواء للجنة أو للنار ، أو للنفس ، أو للملائكة ، أو للجن ، إنما هو وصف لما لم تقع عليه حواس الإنسان ، بحيث يمكن له إدراكه ، وإنما يُوصف له بما يناسب إدراكاته الحالية ، فالوصف للتقريب لأن الإنسان لا يمكن له أن يتخيل بعيداً عن مدركاته الحسية (٣) ، وليس فى ذلك ما ينافى العقل ، بل العقل يؤيده بما يشاهده من آثار لما لا يمكن له وصفه كالكهرباء والأثير (٤) .

و « لا يخلو فيلسوف من كلام فى النفس الإنسانية ، لأنها أقرب الأشياء إلينا ، وهى إلى ذلك القرب شديدة الغموض ، وكلما خُيِّل إلى المفكرين أنهم ازدادوا بها علماً ، وبلغوا حقيقة أمرها ، وكشفوا سرها ، وعرفوا جوهرها ؛ إذا بهم يجدون ذلك العلم سراباً ، والجوهر مظهراً خلاَّباً ، ولا نزال إلى اليوم حيث كان سقراط وأفلاطون وأرسطو بل أشد عن الحقيقة بُعداً ، ولذلك ضرب العلم الحديث صفحاً عن طلبها ، واكتفى بتحليل الظواهر النفسية ، وترك للفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون إليه السبيل ، عسى أن يصلوا يوماً ما إلى معرفة حقيقة النفس » (٥) .

---

(١) السجدة : ١٧

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الرقاق ، باب : ما أعد الله لعباده الصالحين ، جـ ٢ ص ٣٣٥

(٣) جان برنيس : المخيلة ، ترجمة د . خليل الجبر ، المطبعة البوليسية ، ١٩٧٧ ، ص . ١

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ٣٩

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) ابن سينا : أحوال النفس ، حققها وقدم لها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ، ص ٥ مقدمة المحقق .

انظر : وليام أرنست هوكنج : معنى الخلود فى الخبرات الإنسانية ، ترجمة مترى أمين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ط ١ (١٩٨٢ م) ، ص ١٥٧ - ١٦٣

وإن العلماء فى العصر الحاضر حينما يقرون بصعوبة البحث فى حقيقة النفس ، وأن عليهم البحث فى الظواهر النفسية ، فإن القرآن الكريم قد أوضح الكثير منها ، وأرشد الإنسان إلى أسلوب تقويمها وترشيدها .

وإن هذا العنصر - النفس - هو الذى يرجع إليه ما يتصف به الإنسان من صفات محدودة من صفات اللّه تعالى الكاملة كالإرادة والعلم للقيام بمهام الخلافة [١] ، وإن هناك تأثيراً متبادلاً بين النفس والجسد فى تكوين الحالات النفسية والعمليات العقلية لدى الإنسان [٢] ، وإن أهم شىء فيه هو القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى الذى له تأثير على تفكيره ، وسلوكه [٣] .

ومن هنا جاء وصف النفس بمعنى القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى « بالمطمئنة والرضا (الفجر : ٢٧) ، ومنها يكون التضرع والخيفة (الأعراف : ٢٠٥) والإستيقان (النمل : ١٤٦) والإيثار (الحشر : ٩) والخداع (البقرة : ٩) والحسد (البقرة : ١٠٩) ، والمقت (غافر : ١٠) والوسوسة (ق : ١٦) .... والخيانة والفجور والتقوى (النساء : ١٠٧) و (الشمس : ٧) » [٤] .

وإن النفس تشمل الإرادة ، كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية ، كما تعمل غير واعية ، وتحس بالنعمة ، كما تحس بالنقمة ، وتميل إلى التقوى ، كما تميل إلى الفجور [٥] .

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٤٩ - ٥٠
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢١

(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٣١
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١

(٣) ابراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢
مجمع اللّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤

(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٨

قال تعالى : ﴿ وَنفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

ويتعلق بها الإيمان والكفر والهدى والضلال ... وتتحمل التكليف ... وتتلقى الجزاء ثواباً أو عقاباً (٢) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ منْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ منْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لنَفْسه ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لنَفْسه ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ القُرْآنَ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَنَ ضَلَّ فَقُل إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ المُنْذِرِين ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِى ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِى إِلَّى رَبِّى ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥ بتصرف .

(٣) الأنعام : ١٠٤ (٤) يونس : ١٠٨ (٥) الاسراء : ١٥

(٦) النمل : ٩٢ (٧) سبأ : ٥٠ (٨) الأعراف : ٩

مُبْعَدُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1].

* * *

● وحدة النفس :

إن كل إنسان يُدرك بجلاء ذاتيته ووحدته ، منذ أن وعى بنفسه إلى مماته ، وأنه هو هو لم يتغير ، رغم تعدد الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وما يعرفه من أن الخلايا متغيرة عدا الخلايا العصبية التى تكون ثابتة [2] .

فسبحان اللّه كيف ثبتت الخلايا العصبية مع أن جميع الخلايا تكاثرت من خلية واحدة أثناء التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ؟ [3] ، والعلماء يقفون حيارى أمام هذه المشاهدة ، وعجزهم عن تفسيرها [4] .

قال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [5].

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان فى تغير مستمر عدا الخلايا العصبية ، فليست الخلايا العظمية والعضلية التى رأيتها فى طفولتك هى التى تراها فى شبابك أو فى شيخوختك .

فأين تكمن وحدة النفس عند الإنسان :

(أ) هل هى فى ثبات الخلايا العصبية ؟

(ب) أم فى ثبات النفس التى نفخها المَلك فى الإنسان أثناء تكوينه جنيناً فى بطن أُمه إلى خروجها بالقبض ؟

(جـ) أم منهما ؟

---

(١) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠

(٣) عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠

(٤) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٠٤

(٥) الذاريات : ٢٠ - ٢١

إن هناك عدة فرضيات لتفسير وحدة النفس ، ولعل أهمها بإيجاز [١] :

١ - إن جوهرية النفس التى حلّت فى الجسد هى موضوع وحدة الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وذلك لأنها ثابتة لا تتغير مع تبدل أعراضها [٢] .

٢ - إن الذاكرة التى تربط بين الماضى والحاضر هى الأساس فى الإحساس باتصال الخبرات النفسية ، والعمليات العقلية ، بل إن هيوم [٣] يرى أن وحدة النفس وهم ، لعدم وجود روابط حقيقية بين مختلف الحالات النفسية ، والعمليات العقلية [٤] .

٣ - إن جسم الإنسان واستمرار وجوده واتصاله هو أساس الثقة بوحدة الشخص ، سواء أكان بجسمه أو بسلوكه أو بمخه ، وخاصة اللحا موضع الحالات النفسية ، والعمليات العقلية [٥] .

٤ - إن الوعى بالذات عن طريق الاستبطان فى مختلف الأوقات ، والذاكرة

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٠٧ - ١٢٨

(٢) محمود قاسم : فى النفس والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣

جنيفياف روديس : ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده الحلو ، منشورات عويدات . بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٨٨ - ٨٩

(٣) هيوم ، دافيد (١٧١١ - ١٧٧٦ م) فيلسوف ومؤرخ سياسى إنجليزى .

ومما قاله : « إن الأخبار مصدر المعرفة كلها ، وإن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها ، وإن نزعة الشك المطلق فى المعارف الإنسانية ، وإن الموضوع الوحيد للمعرفة هو الرياضيات » ، ومن مؤلفاته : بحث فى الفهم البشرى عام ١٧٤٨ م

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٣١ - ١٣٢

م . روزنتال : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٥٧٠ - ٥٧١

(٤) انظر : بول شوشار : فيزيولوجية الوجدان (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٥١

انظر : د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٤٠

جمال الدين برقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٣٠٣

التى تربط بين الماضى والحاضر ، والاستمرار عبر الزمن فى علاقته مع الجسم ، هى الأساس فى وحدة النفس [١] .

إنه باستعراض هذه الفرضيات التى ركّز البعض منها على النفس كجوهر ، وركّز البعض الآخر منها على الجسد ، فى تفسير وحدة النفس ، نلمس أن هناك وجاهة فى جانب من هذه النظرة ووجاهة من جانب آخر فى النظرة الأخرى مع أدلة الشرع .

ولذلك نلمح أن وحدة النفس تكمن فى النفس والجسد معاً ، فالإنسان مخلوق واحد من مادتين ، وهو مُكلّف بهذا الاعتبار ، ويُبعث يوم القيامة بروحه وجسده ، كما أن الجزاء للروح والجسد ، حتى فى البرزخ للروح تعلُّق بالجسد ، وإن بُلِّىَ وتحلّل الجسد فإنه لا يفنى ، ولكن يتحوّل [٢] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر : د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦٨

انظر : جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٥٧ - ٥٦٥

(٢) د . عثمان حسن المفتى ، خالد على كماضى : خواص المادة ، دار الشروق بجدة ، ص ٢٦

(٣) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٤) السجدة : ٧ - ٩ (٥) فصلت : ١٩ - ٢١

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أما الدليل على علاقة الروح بالجسد فى البرزخ فما رُوِىَ عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبرين يُعذَّبان ، فقال : « إنهما ليُعذَّبان ، وما يُعذَّبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لِمَ صنعت هذا ؟ فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٢) .

قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (٣) .

فهل جسد الإنسان يُسَبِّحُ لوحده دون أن يكون له علاقة فى الوحدة النفسية ؟ أم انه يدخل فى الوحدة النفسية للإنسان ؟ ومن النفس والجسد تتكوَّن هذه الوحدة ، التى تمثل الإنسان الذى عُرِضَت عليه الأمانة فتحمَّلها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٤) .

فإذا كان استحقاق الجزاء للإنسان يكون لجانبيه المادى والروحى ثواباً أو عقاباً ، فالوحدة النفسية تكمن فى النفس والجسد ، وأن الإنسان مخلوق واحد يتكوَّن من طبيعة مزدوجة بين مادتين (٥) .

* * *

(١) النور : ٢٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر ، جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

(٣) الإسراء : ٤٤ (٤) الأحزاب : ٧٢

(٥) محمد قطب . . . فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٣

• أحوال النفس :

إن التأمل فى النفس الإنسانية له أهمية كبيرة فى معرفة الخالق المبدع ، ذى القدرة المعجزة ، وما يجب له من توحيد الألوهية ، والربوبية والأسماء والصفات ، والذى بناءً عليه تتحقق منفعة سلوكية أخلاقية ثابتة ومستمرة ، مستمدة من شريعته تعالى ، لصالح الفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

وذلك بخلاف نظرة الفلاسفة الذين يرون أن معرفة النفس لها قيمة سلوكية أخلاقية ، مُستمَدة من سلوكيات وأخلاقيات المجتمع (الواقع الخارجى) ، فهى غير ثابتة وغير مستمرة ، وإن كان هناك فضائل مشتركة إلا أنها معيارية، تختلف باختلاف ظروف وأحوال الأفراد والمجتمعات (٣) .

ولذلك فلا بد أن يكون للقيم والفضائل السلوكية قاعدة صلبة ، ليكون لها الثبات والديمومة ، بحيث يكون العمل نابعاً من إيمان ، له صفة الثبوت والدوام .

فالإنسان لديه دوافع فطرية ، ودوافع مكتسبة ، كما أن لديه القدرة على التحدث الداخلى عن طريق الاستبطان بطريقة لا يمكن أن يدركها الآخرون (٤) ، فقد يجد نفسه مدفوعاً إلى تنفيذ أمرٍ ما ، فيجب أن تكون لديه رقابة داخلية تمنعه من الوقوع فى السوء ، كما تدفعه إلى عمل الخير ، قبل اطلاع الرقابة الخارجية .

فالإيمان باللّه ، والخشية منه ، واحترام شريعته ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن

---

(١) الذاريات : ٢٠ - ٢١ (٢) فصلت : ٥٣

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ - ١٥٥
د . سهير فضل اللّه أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٨

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦٨
د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . دار الشروق ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٣

حب واحترام قوانين الرقابة الخارجية ، أو الخوف منها ، فالله مُطلّع على أسرار الإنسان من قبل أن يقع منه الفعل ، حينما كانت مجرد أفكار تدور فى باطنه [١] .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تَعْلِنُونَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أو اجْهَرُواْ بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [٤].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥] .

كما أن الإنسان (صاحب الاستبطان) يُدرك ما يدور فى نفسه ، والمؤمن الذى تلك صفاته ترهف مشاعره ، وترق أحاسيسه ، لمراقبة هذه الأفكار عن طريق الرقابة الذاتية (النفس اللوّامة) ، التى تعتبر منبهاً داخلياً قوياً لمواضيع الخطأ أو الصواب فيُبعد نفسه عن عمل السوء ، وينزع إلى عمل الخير ، وذلك بالعزم على فعل الخير ، وترك الشر ، فيجاهد نفسه ليُرضى ربه ، وهذه غايته [٦] .

وهذا بخلاف الفلاسفة أو علماء النفس الذين يجعلون الرقابة الداخلية

---

(١) د . محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، ترجمة وتحقيق وتعليق د . عبد الصبور شاهين . دار البحوث العلمية بالكويت ومؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ ، ص ٤٥١

(٢) التغابن : ٤ (٣) يس : ٧٦

(٤) الملك : ١٣ (٥) المجادلة : ٧

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٩ ص ٣٧٦٨

(الضمير) للإنسان ، إنما هى مجرد التكيف عن طريق الكبت مع الواقع الخارجى [١] .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، له مطالبه وشهواته البدنية ، كما له مطالبه وأشواقه الروحانية ، فلا بد أن يكون هناك اتزان فى تلبية هذه المطالب والحاجات ، دون انحياز أو انسياق إلى أحد الجانبين ، ليفوز فى حل الصراع بينهما [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ، وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ [٥] .

والله تعالى منح الإنسان ما به يكون سيد نفسه ، ومالك زمام أمره بما منحه من عقل وإرادة موضع الابتلاء والامتحان ، ليتحمل المسئولية على عمله ، وهو ما تتجه إليه إرادته واختياره [٦] .

---

(١) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى ، ترجمة د . محمد فتحى السنيطى ، دار النهضة العربية ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م . ص ٣٥ - ٤٠

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس فى الحياة المعاصرة - دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣م ، ص ٣١١

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس . دار الشروق ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٩

(٣) الشمس : ٧ - ١٠

(٤) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٥) القصص : ٧٩ - ٨٠

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية - دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٣م ، ص ١٣٦ - ١٣٨

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فى كَبَدٍ * أيَحْسَبُ أنْ لَنْ يَقْدرَ عَلَيْه أحَدٌ * يَقُولُ أهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أيَحْسَبُ أنْ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ * ألَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * ولِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبيلَ إمَّا شَاكراً وَإمَّا كَفُوراً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذى خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ منْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيؤْمنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إنَّا أعْتَدْنَا لِلظَّالمينَ نَاراً أحَاطَ بهمْ سُرَادقُهَا ، وَإنْ يَسْتَغيثُواْ يُغَاثُواْ بمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ ، بئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَملَ صَالحاً فَلنَفْسه وَمَنْ أسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بظَلاَّمٍ للْعَبيد ﴾ (٥) .

وإن القرآن الكريم قد قسَّم أحوال النفس حسب الصفة الغالبة ، والتى لكل منها سلطانها عليه ، على النحو التالى :

(أ) النفس الأمّارة بالسوء :

إن للإنسان دوافعه ، وحاجاته الأولية كحب البقاء ، والتملك ، والغريزة الجنسية ... التى لا يمكن أن يستغنى عنها ، وتُشكِّل قوة داخلية ضاغطة على الإنسان ، مطالبة بإشباعها دون كلل أو ملل (٦) ، وعن طريق بعض هذه الدوافع الأولية أوقع إبليس - لعنه الله - آدم عليه السلام فى المعصية (٧) .

---

(١) البلد : ٤ - ١٠ (٢) الإنسان ٣ (٣) الملك : ٢

(٤) الكهف : ٢٩ (٥) فصلت : ٤٦

(٦) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٢

د . محمد التومى : نحو سيكولوچية إسلامية ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧٩ م، ص ٢٥ - ٣٠.

(٧) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ١٢٦٩

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢) .

وإن الغريزة الجنسية هى التى دفعت قابيل إلى قتل أخيه هابيل (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

وكذلك ما جاء فى القرآن الكريم عن امرأة العزيز .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَتُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

فالواجب على الإنسان أن لا ينساق وراء الدوافع الأولية كالحيوان لإشباعها عن طريق الأهواء والشهوات والملذات البدنية المذمومة ، لأن الإنسان ليس كالحيوان فى مهمته ، وإنما هو خليفة لله فى أرضه ، وقد منحه صفات من صفاته تعالى كالإرادة والعلم (٦) .

---

(١) الأعراف : ٢٠ (٢) طه : ١٢٠ - ١٢١

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢١٣.

(٤) المائدة : ٢٧ - ٣٠ (٥) يوسف : ٥١ - ٥٣

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٣

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فيجب أن يكون لدى الإنسان إرادة للتحكم فى إشباع هذه الدوافع ، لترشيدها وتقويمها ، فلا يجعلها سائبة ترعى فى الإهمال ليصبح وحشاً عدوانياً، لا يرعى المصالح جهلاً وظلماً ، فتحتجب الذات فى الظلمات التى تجعلها لا ترى النور (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

وإن كل إنسان لديه هذه الدوافع الأوّلية ، ولذا فكل إنسان لديه هذه النفس الأمّارة بالسوء ، والإنسان مُطالَب بالتحكم والترشيد والتقويم لها . بالاستفادة

---

(١) البقرة : ٣٠

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٠٢

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ (٤) التين : ٤ - ٦

(٥) البقرة : ١٦ - ١٧ (٦) الأنعام : ١٢٢

مما منحه الله من عقل وإرادة ، مناط المسئولية فى تحقيق الابتلاء والامتحان [1] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [2] .

وإن لم يستثمر الإنسان ما منحه الله من عقل وإرادة ، وانهمك فى إشباع شهواته وملذاته البدنية المذمومة ليجعلها هى المسيطرة عليه ، فإنه يكون شيطاناً من شياطين الإنس ، ومنزلته دون منزلة الحيوان [3] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [6] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٧ ص ١١٨ - ١١٩
عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤ - ٥ ، جـ ١٢ ص ٨٦

(٤) البقرة : ١٦٨ - ١٧٠

(٥) المائدة : ٩٠ - ٩١

(٦) الفرقان : ٤٣ - ٤٤

فالإنسان لم يُطلب منه أن يكون مَلكاً ، كما لم يُطلب منه أن يكون شيطاناً ، وإنما طُلبَ منه أن يحافظ على إنسانيته عن طريق التحكم والترشيد والتقويم فى عملية إشباع هذه الدوافع ، والذى به يحفظ إتزان شخصيته ، فلا تعميه مطالبه وشهواته البدنية عن مطالبه وحاجاته الروحية ، فى رعاية القيم ، والمبادىء ، والفضائل ، من غير إفراط أو تفريط كما سبق .

وإن أكثر الناس قد سيطرت عليهم هذه النفس الأمّارة بالسوء حتى أعمتهم عن الهداية والصلاح .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾ (١) .

فـ « الـ » فى كلمة « النفس » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل نفس ، كما أن الاستثناء يدل على قلة المستثنَى عن المستثنى منه ، وكذلك فإن مجىء الوصف « أمّارة » على وزن « فعّالة » أحد صيغ المبالَغة يدل على كثرة وقوع الفعل (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ (٣) .

فإن « الـ » فى كلمة « الإنسان » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل إنسان ، وإن الاستثناء يدل على قلة المستثنَى عن المستثنى منه (٤) .

فالنفس « أمّارة بالسوء لأنها خُلقَت فى الأصل جاهلة ظالمة إلا من رحمها اللّه ، والعدل والعلم طارىء عليها بإلهام ربها وفاطرها ، فإذا لم يُلهمها رشدها

---

(١) يوسف : ٥٣

(٢) إبراهيم محمد سوسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٥

(٣) سورة العصر .

(٤) ابراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٩١

بقيت على ظلمها وجهلها ، فلم تكن أمّارة إلا بموجب الجهل والظلم ، فلولا فضل اللّه ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة .

وإذا أراد اللّه سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح : من الإرادات والتصورات ، وإذا لم يُرد بها ذلك تركها على حالها التى خُلِقَت عليها من الجهل والظلم .

وسبب الظلم : إما جهل ، وإما حاجة ، وهى فى الأصل جاهلة ، والحاجة لازمة لها ، فلذلك كان أمرها بالسوء لازماً لها إن لم تُدركها رحمة اللّه وفضله .

وبهذا يُعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة ، ولا تشبهها ضرورة تُقاس بها ، فإنه لو أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك » [١] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢] .

وإن الذين فهموا رسالتهم والغاية من خلقهم قلة [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦] .

---

(١) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمد سعيد كيلانى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاد بمصر ، ١٣٨١هـ (١٩٦١ م) جـ ١ ص ٩٣

(٢) النور : ٢١

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ١١٩٥

(٤) الأنعام : ١١٦ (٥) الأعراف : ١٠٢ (٦) يوسف : ١٠٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ (١) .

فطريق تزكية النفس الإيمان الصادق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، إيماناً مقروناً بالعمل الصالح ، حسب ما تُمليه الشريعة السماوية ، ومحاسبة ومراقبة النفس الأمّارة بالسوء بما يوافق هذا الإيمان ، باستغلال واستثمار خصائص النفس اللوّامة ، والذى بناء عليه يكون للإنسان قواعد سلوكية أخلاقية ثابتة ، ومستمرة تحفظ له إنسانيته وتوازنه (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إِنَّ البَّاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) .

ومما جاء فى القرآن الكريم فى سبيل ترشيد الإنسان لصيانة جوارحه ، التى تمثل نوافذه على العالم الخارجى ، من الانزلاق فى حبائل النفس الأمارة بالسوء (٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٦) .

---

(١) الإسراء : ٨٩

(٢) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ - ١٥٥

(٣) الإسراء : ٨١ - ٨٢ (٤) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٥) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٦

(٦) الإسراء : ٣٦

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾(٢) .

كما يجب على الإنسان أن يحذر من احتيال هذه الدوافع الأوّلية على العقل ، أو النفس اللوّامة ، عن طريق التهاون فى اتخاذ القرار ، أو مبررات مغلوطة تُثيرها النفس كخواطر أو وسوَسة من الشيطان ، أو عن طريق ما لا يأباه العقل فى ظاهر الأمر من المتشابهات ، حتى يجد نفسه وقد انزلق فيما يأباه العقل والضمير (٣) .

قال تعالى : ﴿ وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٧) .

وعن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ

---

(١) النور : ٣٠ (٢) الأحزاب : ٧٠

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٧٩ - ١٨٠
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٢٢ - ٢٢٤

(٤) الرعد : ٣٧ (٥) البقرة : ١١ - ١٢

(٦) طه : ١٢٠ (٧) الأنعام : ١٢١

لدينه وعِرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل مَلِكٌ حِمَى ، ألا إن حِمَى اللّه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجَسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »[1].

(ب) النفس اللوّامة :

إن النفس اللوّامة تُعتبر رقابة داخلية تُحاسِب الإنسان عما يصدر عنه ، سواء على مستوى الأفعال ، أو النيّات ، على شكل شُحنة انفعالية داخلية ضاغطة للإقلاع عن القصور أو التقصير فى العمل الصالح [2] .

فـ « ليس من نفس برّة أو فاجرة ، إلا وهى تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيراً قالت : هلا ازددتُ ، وإن كانت عملت سوءاً قالت : ليتنى قصّرتُ ليتنى لم أفعل » [3] .

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [4] .

ولقد جاء لفظ « اللوّامة » على وزن « فعّالة » ، وهى إحدى صيغ المبالغة ، التى تدل على كثرة وقوع الفعل ، وشدة التعنيف والمؤاخذة منها لصاحبها [5] .

كما أن اقترانها بـ « يوم القيامة » يدل على أهمية الإيمان بالبعث فى تنمية النفس اللوّامة ، وتنشيطها فى تنبيه الإنسان ومؤاخذته وتعنيفه على مواطن

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، جـ ١ ص ١٩

(٢) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم . دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ص ٩٨ - ٩٩

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم . المكتب الجامعى الحديث ١٤٠٢ هـ - (١٩٨٢ م) ، ص ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨١

(٣) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م جـ ٣ ص ٢٠٨

(٤) القيامة : ١ - ٢

(٥) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٤

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦١

القصور أو التقصير لديه ، قبل حساب الآخرة الذى فيه تظهر ثمرتها بصورة جلية [١] .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [٣] .

فالنفس الأمّارة بالسوء تدفع الإنسان إلى إشباع دوافعه الأولية ، وقد يُصاحب ذلك ضعف إرادة فى التحكم والترشيد والتقويم فى عملية إشباعها ، والنفس اللّوامة تمثل نقطة مراقبة داخلية ضاغطة وقوية ، لما تُحدثه فى الذات ، من اضطراب فى الكيان ، وتعكر فى الصفو ، وشعور بالذنب ، يُشعرها بمواطن الضعف ، للمحافظة على اتزان الشخص عن طريق المطالبة بتصحيح الوضع [٤] .

وذلك ما حدث لآدم عليه السلام حينما وقع فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [٥] .

« فغوى » أى فسد عيشه ، وتعكر مزاجه ، واضطرب كيانه ، بسبب المعصية ، والذى منه تقريع النفس اللوّامة بالند م والحسرة على ما وقع منه [٦].

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٢١٦

إبراهيم محمد سرسيق : النفس البشرية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) آل عمران : ٣٠ (٣) المؤمنون : ٦٠ - ٦١

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٧ - ٢٠٨

د . حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ص ٢٢٥

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٢١٦

(٥) طه : ١٢١

(٦) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٢٩٧

وقال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وإن طريق خلاص النفس من تعكر الصفو ، واضطراب الكيان ، للتردى الذى وقعت فيه هو الإقلاع عن القصور أو التقصير ، والترقى من درجة الظالم لنفسه إلى درجة المقتصد ، الذى أدّى ما يجب عليه ثم إلى درجة السابق بالخيرات ، الذى يدفع بنفسه إلى القيام بأكثر مما يجب عليه من الفضائل ليظفر برضا ربه (٣) ، الذى أفهم النفس طريق التقوى ، وطريق الفجور (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦) .

« وإن ذلك يكون بالندم ، والتوبة الصادقة ، والعزم على أن لا يعود إلى القصور أو التقصير فيما يجب ، فتحيا وتنشط النفس اللوّامة للقيام بواجبها نحو مراقبة ومحاسبة الإنسان لترقيته وتزكيته إلى الأفضل فى سلم الدرجات العليا » (٧) .

---

(١) المائدة : ٣٠ - ٣١ (٢) التوبة : ١١٨

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ٢٤ - ٢٥
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٩٤٤

(٤) البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٨٠٠

(٥) الشمس : ٧ - ١٠ (٦) فاطر : ٣٢

(٧) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٨
عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٥

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) .

فيجب على الإنسان أن يتعهد هذه النفس بالاستجابة لما تدعو اليه من الخير ، لكبح جماح الشهوات والملذات الحيوانية المذمومة مصدر الضعف فى الإرادة ، والذى به يفقد الاتران ، وليجد السكينة بعد القلق ، والطمأنينة بعد الانزعاج ، والجد والعمل الصالح بعد التقاعس والعمل السىء (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) النساء : ١١٠

(٣) النساء : ١٧ (٤) هود : ١١٤ - ١١٥

(٥) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٩٧ - ٩٩
د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٦) النازعات : ٤٠ - ٤١ (٧) القصص : ٧٧

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حسن » (١) .

أما إذا لم يستجب لنداء النفس اللوّامة ، فإن هذه القوة الداخلية - التى تمثل برج مراقبة قوى - تتبلد شيئاً فشيئاً حتى تنعمى ، فتغوص الذات فى بحور الظلام ، التى لا تجد لها شواطىء أمان .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

وبناءً على ذلك فإن قوة النفس اللوّامة وضعفها فى محاسبة الإنسان ، ومراقبته ، والاستجابة لها ، تختلف حسب قوة الإيمان وضعفه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) رواه الدارمى فى كتاب الرقائق ، باب : فى حسن الخلق ، جـ ٢ ص ٣٢٣

(٢) البقرة : ٧٤ (٣) الكهف : ٢٨

(٤) الجاثية : ٢٣ (٥) الأعراف : ٢٠١

الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

وإن شريعة الله تعالى التى ليس للأهواء والشهوات دخل فى تحديدها ، هى التى يمكن أن تطمئن إليها القلوب ، كما أن المؤمن هو الذى يستفيد من النفس اللوّامة فى نطاق الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (٢) .

أما غير المؤمن فلا يستفيد من النفس اللوّامة إلا فى الحياة الدنيا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يارسول الله ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٣) .

وإن الإنسان يخرج عن طريق النفس اللوّامة من دور الإنسان الصالح إلى دور الإنسان المصلح داخل المجتمع (٤) ، والذى فيه تلتقى السلطة الداخلية للأفراد مع السلطة الخارجية ، فالمجتمع الإسلامى هو الذى تلتقى فيه السلطتان عن قناعة تامة ، وإيمان صادق بشريعة الله ، ذات المبادىء والقيم والفضائل الثابتة

---

(١) الأنفال : ٢ - ٤ (٢) النساء : ١١٤ - ١١٦

(٣) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، جـ ٤ ص ١٨٤٦

(٤) إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

انظر : فرنسوا شاتلييه : أيديولوجيا الإنسان ، ترجمة د . خليل أحمد خليل . المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ص ٢٨ - ٣٧

والمستمرة ، والذى فيه تتضافر الجهود فى بناء مجتمع يسوده العدل والأمن والاستقرار والفضيلة والتكامل .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ، فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُواْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ ، اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤) .

فالمؤمن مجاهد لنفسه من داخل ذاته ، ولمجتمعه للقضاء على انحراف الأفراد بزجرهم اجتماعياً ، مما يضطرهم إلى تعديل سلوكهم المنحرف ، حتى لا تتوسع دائرة الانحراف فى المجتمع ، ولو كان ذلك اعترافاً بجريمة ارتكبها ، ويستحق عليها العقاب ، ليقضى على التوتر والقلق من تقريع وتوبيخ النفس اللوّامة من جهة ، وليفوز برضا ربه وقبول توبته من جهة أخرى ، فيعود إليه الأمن النفسى ، الذى به يحفظ اتزانه كشخص سَوِىٍ داخل المجتمع (٥) .

---

(١) آل عمران : ١١٠ (٢) النساء : ١٣٥

(٣) المائدة : ٨ (٤) هود : ٨٨

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢١٠ - ٢١٢

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

ولذلك فإن الجزاء يجب أن يتصف بالسرعة ، لتحقيق سرعة القضاء على التوتر والقلق النفسى ، وتحقيق العبرة والموعظة لزجر الانحراف [١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فناداه فقال : يارسول الله ؛ إنى زنيتُ ، فأعرضَ عنه ، فتنحى تلقاء وجهه ، فقال له : يارسول الله ؛ إنى زنيتُ ، فأعرضَ عنه حتى ثنَّى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « أبِكَ جنون » ؟ قال : لا ، قال : « فهل أحصنتَ » ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فارجموه ... » [٢] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ فجاءته امرأة من بنى غامد ، فقالت : يانبى الله ؛ إنى قد زنيتُ ، وإنى أُريدُ أن تُطَهِرنى ، فقال لها : « ارجعى » ، فلما كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا ، فقالت : يانبى الله طَهِرنى ، فلعلك أن تردنى كما رددت ماعز ابن مالك ، فوالله إنى لحُبلى ، فقال لها النبى ﷺ : « ارجعى حتى تلدى » فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله فى خرقة فقالت : يانبى الله ؛ هذا قد ولدتُ . فقال : « اذهبى فأرضعيه . ثم افطميه » ، فلما فطمته جاءته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : يانَبى الله ؛ قد فطمته . فأمر النبى ﷺ بالصبى فدُفِع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحُفِر لها حفرة ، فجُعِلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجرٍ فرمى رأسها فتلطَّخ الدم على وجنة خالد بن الوليد فسبَّها ، فسمع النبى ﷺ سبُّه إياها فقال : « مه ياخالد !! لا تسبها ، فوالذى نفسى بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له » ، « فأمر بها فصلَّى عليها ، ودُفِنت » [٣] .

« وإذا تأملتَ حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ، ينظرون فى حقهم على

---

(١) د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٢) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، حديث ١٦ ، جـ ٣ ص ١٣١٨

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : الحامل إذا اعترفت بالزنا جـ ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠

الله ، ولا ينظرون فى حق الله عليهم ، ومن ههنا انقطعوا عن الله ، وحُجبت قلوبهم عن معرفته ، ومحبته ، والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره ، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه ..

فمحاسبة النفس هى نظر العبد فى حق الله عليه أولاً ، ثم نظره : هل قام به كما ينبغى ثانياً ، وأفضل الفكر الفكر فى ذلك ، فإنه يُسيِّر القلب إلى الله ، ويطرحه بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره .. ومفتقراً فقراً فيه غناه .. وذليلاً ذُلاً فيه عزته ، ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل ، فإن ما فاته من البر أفضل من الذى أتى » [١] .

(جـ) النفس المطمئنة :

إن النفس المطمئنة هى التى يصل فيها الإنسان إلى درجة من الكمال والنضج فى تحقيق توازن الذات ، بعد الانزعاج والاضطراب والقلق الصادر من النفس الأمّارة بالسوء [٢] من جهة ، والنفس اللوّامة من جهة أخرى ، فتجد السكينة والصفاء ، والراحة النفسية فى التحكم والتقويم والترشيد فى إشباع الحاجات والمطالب البدنية والروحية عن طريق تقويم السلوك .

ولا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه الدرجة إلا بتعهد النفس اللوّامة ، وتزكيتها عن طريق الاستجابة لها فى كل عمل خير [٣] ، حتى يستطيع أن يتحكم فى عملية إشباع دوافعه ويقضى على نقاط الضعف فى الإرادة ، فيقوى هذا المُنبِّه الداخلى حتى لا يجد صعوبة فى الاستجابة له ، ثقه بالله وبوعده له بالثواب [٤].

---

(١) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٥

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٢

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٩٧ - ٩٩

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٣٩٠٧

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٠

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

فهى نفس آمنة لا يستفزها خوف ولا حزن ، ففى قراءة أُبَّى بن كعب : « يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . (٣)

ففى الآية قصر « الأمن » على المؤمن عن طريق تقديم الجار والمجرور « لهم » على كلمة « الأمن » (٤) .

ولذلك فإن النفس المطمئنة يرجع اطمئنانها إلى توفر عدة صفات أساسية وهى :

١ - الإيمان بالله تعالى والولاء له :

فبالإيمان والعمل الصالح يُرضى ربه ، ويتحكم فى دوافعه ، بتوجيه إشباعها وفق شريعته ، التى يطمئن إليها فى تحقيق توازن شخصيته فى الوفاء بمتطلباته ، وحاجاته البدنية والروحية ، ليصل إلى درجة الكمال والنضج ، التى تجعله يرضى عن نفسه ، ولذلك جاء وصف « النفس المطمئنة » بـ « راضية مرضية » (٥) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) الفخر الرازى : تفسير الفخر الرازى (مرجع سابق) جـ ١٦ ص ١٧٧

(٣) الأنعام : ٨٢

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٣ ص ٦٤

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ ديناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٣) .

٢ - **الإيمان بالبعث** ، وهو يتضمن ثقة واطمئنان المؤمن بوعد الله تعالى له بالثواب (٤) ، وأن هذه الحياة ماهى إلا دار ابتلاء وامتحان (٥) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

---

(١) النساء : ١١٤ (٢) النساء : ١٢٥ (٣) النحل : ٢

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٩

(٥) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٥٥

(٦) الفجر ٢٧ - ٣٠ (٧) العنكبوت : ٩ - ١١ (٨) هود : ٧

٣ - المداومة على مراقبة الله تعالى فى كل عمل يقوم به ، وإن كان خليفة لله فى أرضه فهو أيضاً عبداً لله تعالى ، فيلزمه أن يكون معه فى السراء والضراء ، حتى يضمن البُعد عما يُوقعه فى الزلل والغلط [١] .

وإن تنمية ذلك يكون عن طريق القرآن والبرهان ، اللّذين يشدانه إلى عظمة المولى سبحانه [٢] .

فعن القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٣] .

وأما البرهان فمن وجهين :

الأول : إن القوة العاقلة إذا أخذت تترقى فى سلسلة الأسباب والمسببات ، فكلما وصل إلى سبب يكون هو ممكناً بذاته طلب العقل له سبباً آخر ، فلم يقف عنده بل لا يزال ينتقل من كل شىء إلى ما هو أعلى منه ، حتى ينتهى فى ذلك الترقى إلى واجب الوجود لذاته مقطع الحاجات ومنتهى الضرورات ، فلما وقفت الحاجة دونه وقف العقل عنده واطمأن إليه ، ولم ينتقل عنه إلى غيره ، فكلما كانت القوة العاقلة ناظرة إلى شىء من الممكنات ملتفتة إليه استحال أن تنتقل عنه ، فثبت أن الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر واجب الوجود .

الثانى : إن حاجات العبد غير متناهية ، وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهى البقاء والقوة إلا بإمداد الله ، وغير المتناهى لا يصير مجبوراً بالمتناهى ، فلا بد من مقابلة حاجة العبد التى لا نهاية لها من كمال الله الذى لا نهاية له حتى يحصل الاستقرار فثبت أن كل من آثر معرفة الله لا لشىء غير الله فهو

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) ص . ٢٢ - ٢٢٣

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣١ ص ١٧٧
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

(٣) الرعد : ٢٨

غير مطمئن وليست نفسه نفساً مطمئنة ، أما من آثر معرفة الله لشيء سواه فنفسه هى النفس المطمئنة ، وكل من كان كذلك كان أنسه بالله ، وشوقه إلى الله ، وبقاؤه بالله ، وكلامه مع الله ، فلا جَرَمَ أن يُخاطب عند مفارقته الدنيا بقوله : ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (١) وهذا الكلام لا ينتفع الإنسان به إلا إذا كان كاملاً فى القوة الفكرية الإلٰهية ، أو فى التجريد والتفريد (٢) .

وإذا كان النظر فى مخلوقات الله تعالى يفيد طمأنينة فى الجملة ، فليس إفادتهما للطمأنينة كإفادة ذكر الله تعالى وهذا وجه ما يفيده قصر الاطمئنان على الذكر (٣) ، فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٤) .

وإن هذا التأمل والتفكير من المؤمن يجعله يترقى إلى أعلى الدرجات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » ، قال : ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به ، وتُقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... »(٥).

فالمؤمن متيقن أن ذلك حق ، ويحس بقرب الله تعالى إليه ، وأنه نصيره ، ومن ههنا كان له الثبات والاستقرار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ (٦) .

---

(١) الفجر : ٢٨

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب(مرجع سابق) جـ ٣١ ص ١٧٧ - ١٧٨

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١ (٤) الرعد : ٢٨

(٥) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة جـ ١ ص ١٨ (٦) سورة ق : ١٦

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

أما من رضى بالحياة الدنيا واطمأن إليها ، وترك دوافعه الأوّلية ترعى فى الإهمال ، فإنه يقبل على إشباعها حسب أهوائه ، وشهواته وملذّاته ، لا يحكمه إلا قوانين وضعية ، للأهواء والشهوات دور فى تصميمها من جهة ، كما أن الواقع الخارجى - بما فيه من أنظمة - له دور فى تشكيل سلوكيات وأخلاقيات الأفراد (٣) .

ومن ههنا فإن اطمئنان الإنسان إلى حياته الدنيا مزيف عن طريق مَنْ سيطرت عليهم أهواؤهم وشهواتهم ، من سادة المجتمع الذين استطاعوا إشباعها دون رقابة من المجتمع فضلُّوا ، وهم قلة ، ولكن لهم دور فى توجيه المجتمع ، وبالتالى فقد أضلُّوا الكثير ، ويوم القيامة يظهر ذلك جلياً للجميع (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ

---

(١) الحج : ٧٨ (٢) البقرة : ٢٦٠

(٣) د . فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى . دار الفكر العربى ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ١٥٥

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٦

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٩٠٨ - ٢٩١٠

الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ، بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً ، وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن هذا الاطمئنان المزيف للحياة الدنيا او للأنظمة الوضعية لا يمكن أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن على مستوى أفراد المجتمع ككل ، ولا يمكن أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن بشريعة الله تعالى فى تحقيق العدل ، والأمن ، والاستقرار والتكامل ... وهى أهم المتطلبات لأى مجتمع ، ويشهد على ذلك الكثير من الأمم التى دخلت الإسلام - حينما كان مجتمعه تُديره دولة إسلامية - تأثراً بسمو مبادئه ، وقيمه وفضائله (٢) .

كما أن ما يشاهده الإنسان فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة فى شهر رمضان المبارك فى بروز شىء ما من القيم والمبادىء ، والفضائل ، ما يدل على عظمة الإسلام فى تقويم وترشيد السلوك الإنسانى ، مع أن ذلك ليس إلاَّ نُزراً يسيراً من قيمة هذا الدين ، لأن درجة الإيمان بالله تعالى وابتغاء مرضاته قد غفلت عنه أفراد المجتمعات الإسلامية ضعفاً وجهلاً .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٤) .

---

(١) سبأ : ٣١ - ٣٤

(٢) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧ - ٧٣

(٣) الروم : ٣٠

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين جـ ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وإن هذا التقسيم للنفس لا يعنى أن هنالك منطقة مختصة لهذه أو تلك ، وإن تعدَّدت وظائفها ، وإن كان لبعضها سلطان على بعض الوظائف الأخرى ، ولكن النفس ذات وحدة متمازجة من العمليات العقلية والحالات النفسية ، التى لا يمكن تقسيمها إلى مناطق نفوذ (٢) .

ويقترب من نظرة القرآن الكريم للنفس نظرة الفلاسفة - كما يراه أفلاطون - فى تقسيم النفس إلى « النفس العاقلة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، ولكل من هذه الأنفس حدَّان متطرفان أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى ، فالنفس العاقلة توصف بالعلم أو الجهل ، والنفس الغضبية توصف بالشدة أو اللِّين ، وتُوصَف النفس الشهوانية بالعفة أو الإفراط ، فالنفس العاقلة تستشرف المعرفة ، والنفس الغضبية تتمثل فى لوم الإنسان نفسه عندما يسلس انقياده لشهواته » (٣).

أما علماء النفس - كما يراه فرويد (٤) - فيرون أن النفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى بإيجاز (٥) :

---

(١) يونس : ٧ - ٨

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص . ٤

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٤

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦١

(٤) فرويد ، سيجموند (١٨٥٦ - ١٩٣٩ م) طبيب أمراض عصبية نساوى . من أشهر علماء النفس وأبعدهم أثراً على الفكر الغربى ، أسس طريقة التحليل النفسى ، ومن أشهر مؤلفاته « دراسات فى الهستريا » عام ١٨٩٥ و « تأويل الأحلام » عام ١٨٩٩ م

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٧٣ .

(٥) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٢٥ - - ٤.

سيجموند فرويد : الذات والغرائز ، ترجمة د . محمد عثمان نجاتى . مكتبة النهضة ، ط ٣ ، ١٩٦١م ، ص ٤ - ٩

١ - الهو (الذات الدُنيا) :

وهى تمثل الجانب البيولوچى - الحيوى - الموروث ، فهى وثيقة الصلة بالعمليات البدنية ، وتحتوى على الغرائز الشهوانية ، التى تطلب على الدوام إشباعها ، وفق مبدأ اللّذة ، بما تُثيرة من توتر .

وهى تشبه النفس الأمّارة بالسوء .

٢ - الأنا العُليا (الذات العُليا) :

وهى تمثل الجانب الاجتماعى الداخلى الذى تغذت به النفس كقيم وعادات وتقاليد ، لتمثل الأخلاق الشخصية للإنسان ، فهى تتصرف وفقها لتقويم وترشيد السلوك ، وتُسمى الضمير ، فهى تعمل على كبت « الهو » عند الإنسان لتطبيعه اجتماعياً . وهى تشبه إلى حد ما النفس اللّوامة .

ويرى فرويد أن « الأنا العُليا » هى سبب العقد النفسية ، نتيجة لكبت الدوافع الفطرية ، وهو لا يرى أن الغريزة الدينية غريزة فطرية وإنما يعتبر كل ذلك مكتسباً [١] .

٣ - الأنا (الذات الوسطى) :

وهى الجانب الواقعى ، الذى يجب أن تكون عليه الشخصية ، لتحقيق التوسط بين المطالب الغريزية الشهوانية والواقع الخارجى ، بإشباع الغرائز الشهوانية التى يسمح الواقع فى إشباعها ، وكبت أو تأجيل ما لا يسمح به ، وفق مبدأ الواقع ، فهى تمنع الانسياق فى جانب الغرائز الشهوانية ، أو المغالاة فى تطرف « الأنا العُليا » ، لتحقيق التوازن والصحة النفسية ،

ولا يمكن أن يتحقق التوازن فى الشخصية على أساس قيم ومبادئ مكتسبة من الواقع الخارجى ، تتصف بالتغير والتبدل ، وإن التوازن الحقيقى لا يمكن

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٩

تحقيقه إلا بشريعة الله تعالى ، التى تتناسب مع متطلبات الإنسان البدنية والروحية ، وتتصف بالثبات والاستمرارية [١] .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [٢] .

* * *

● الدوافع :

إن الإنسان يتكوَّن من طبيعة مزدوجة بين عنصرين أساسيين - المادة والروح - وإن منهما يتكوَّن الإنسان الذى يتمتع بالقوة والنشاط الحيوى الذى ينبع من الداخل ، والذى له أثر كبير فى توجيه وتوظيف السلوك الإنسانى ، للوفاء بحاجاته العضوية وغير العضوية (النفسية) عن إرادة ، وحرية ، واختيار للقيام بأهدافه [٣] .

وإن الإنسان يملك التحكم والترشيد النسبى لسلوكه ، ولكن ليس له أن يتحكم أو يُرشِّد ما تحت جلده ، من وظائف عضوية ونفسية إلا النُزر اليسير ، مما يمكن أن يكون من توتر وهيجان كرد فعل لما قد ينهجه فى توجيه وتوظيف سلوكه ، فى تغيير سلوكه ، أو المعالجة بالعقاقير لداء عُضوى أو نفسى [٤] .

ولأهمية هذا الموضوع فقد أفردتُ له الباب الثالث لمزيد من التوضيح ، ليتم

---

(١) د . عز الدين اسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٢) القصص : ٧٧

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص . ١٥ - ١٥٢

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٤ - ٣٣

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١١ - ١٢

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

معالجته هنالك ، ولكن يجب أن نتناوله هنا كخاصية من خصائص الإنسان من جهة ، وكإثارة للمشكلة من جهة أُخرى .

فالدوافع : قوى داخلية ضاغطة وموجهة للسلوك الإنسانى ، لتحقيق أهداف معينة من شأنها القضاء على حالة التوتر ، أو اختلال التوازن التى تُحدثها ، لإشباع حاجاته الأساسية كحفظ الذات أو النوع ... وحاجاته التى تجعله فى توافق مع البيئة الخارجية [١] .

ولذا فالدوافع حاجات واستعدادات كامنة ، قد لا يدركها الإنسان مباشرة ، وإنما يستنتجها من الاتجاه العام للسلوك [٢] .

ويمثل هذه الدوافع فى التعبير القرآنى الكريم بشكل عام « النفس الأمّارة بالسوء » و « النفس اللوّامة » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ، إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [٤] .

وَيقسِّم علماء النفس الدوافع إلى قسمين وهما :

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان ونبيل السمالوطى : علم النفس التربوى . دار الشروق بجدة ط١ ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ٧٢ .

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٤٧

أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٦ - ٣٠ .

محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣

(٢) د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٩٣ - ٩٤

(٣) يوسف : ٥٣ (٤) القيامة : ١ - ٢

١ - الدوافع الفطرية :

وهى القدرات والحاجات الفطرية الموروثة ، التى تدفع الإنسان إلى سلوك معيَّن نحو إدراك شىء (ما) ، والإحساس بحالة وجدانية بالنسبة له ، والنزوع للقيام بإشباعه [١] .

وتنقسم هذه الدوافع الفطرية إلى قسمين وهما :

(أ) حاجات عضوية :

وهى الحاجات العضوية (الجسدية) التى يمكن إدراك مصدرها فى جوانب عضوية ، أو تفاعلات كيميائية فى الجسم [٢] .

وإن النشاط التوفيقى بين هذه الدوافع والاستجابة لها قد يتم على أساس حيوى لا إرادة للإنسان فيه ، كارتفاع درجة حرارة الجسم ، وما يصاحبه من استجابة فى ظهور العَرَق ، لتخفيف درجة الحرارة ... والحاجة إلى النوم ، والحاجة إلى التنفس للهواء الطلق ..... إلخ [٣] .

وقد يكون النشاط التوفيقى إرادى ، ولكنه مدفوع منها كالجوع ، والعطش ، والحرارة ، والبرودة المفرطة ، والألم ، والتعب ، والغريزة الجنسية ... إلخ [٣] .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- دوافع الحرارة والبرودة :

قال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً * مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ، لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً ﴾ [٤] .

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٦

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١١٧

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٢) برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس ، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله ، دار الفكر ، ١٩٧٤ م ، ص ١٣ - ١٤

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤

(٤) الإنسان : ١٢ - ١٣

- دافع التنفس للهواء الطلق حول الكرة الأرضية :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

فمن المحتمل أن يكون فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ إشارة إلى نقص الأوكسيچين خارج الغلاف الجوى للكرة الأرضية ، وكذلك الآيات القرآنية التى تشير إلى الغرق (٢) .

- دافع النوم :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

- دافع الجوع والعطش :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾ (٤) .

- دافع الألم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (٥) .

- دافع التعب :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ، إِنَّ رَبَّنَا

---

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤

(٣) الأنعام : ٦٠ (٤) طه : ١١٨ - ١١٩ (٥) المائدة : ٣٦ - ٣٧

لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (١) .

- دافع الجنس :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

- دافع الأمومة :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وإن النشاط التوفيقي بين هذه الدوافع والاستجابة لها ، سواء أكان إرادياً أو غير إرادي ، إنما هو لإعادة الاتزان والاعتدال للإنسان (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٧) .

فعن دافع النوم والاستجابة له مثلا قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (٨) .

---

(١) فاطر : ٣٤ - ٣٥ (٢) النساء : ١
(٣) الذاريات : ٤٩ (٤) القصص : ١٠ - ١٣
(٥) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤
(٦) الفرقان : ٢ (٧) القمر : ٤٩ (٨) الأنفال : ١١

فلهذا النعاس أهمية كبيرة فى القضاء على التوتر ، واختلال الاتزان ، لدى المؤمنين فى هذا الموقف [١] .

(ب) حاجات نفسية :

وهى الحاجات النفسية (غير العضوية) التى تكون مشتركة بين أفراد النوع ، رغم اختلاف الواقع الخارجى من مجتمع لآخر ، وإن كانت ترجع بطريقة غير مباشرة إلى الدوافع العضوية ، لأنها تعمل على تأمين الاستجابة لها ، لما للدوافع النفسية من أثر كبير فى توفير الأمن والطمأنينة [٢] .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- حب التدين :

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

- حب الخلود والتملك :

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ [٤] .

- حب الاستطلاع :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

---

(١) انظر الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٩

د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٤

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٥ -١٠٦

عبد العزيز القوصى : علم النفس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ص ١٢٩

(٣) الروم : ٣٠ (٤) طه : ١٢٠

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وسيأتى - بإذن الله - فى الباب الثالث مناقشة هل هذه الدوافع فطرية ، أم مكتسبة ؟ ولماذا اخترتُ كونها فطرية ؟

٢ - الدوافع المكتسبة (الثانوية) :

وهى ما يتعلمه الإنسان عن طريق النشاط التوفيقى بين دوافعه الفطرية ، والاستجابة لها من جهة ، والبيئة الخارجية التى تفرض عليه قيماً ومبادىء وعادات وتقاليد من جهة أخرى ، وذلك لتعديل سلوكه ، بتوجيهه وتوظيفه بما يوافق هذه الاتجاهات مجتمعة (٢) .

فهى دوافع نفسية مكتسبة مترتبة على الدوافع الفطرية ، ومتنوعة ومشتقة منها ، نتيجة لتلك التفاعلات مع الاتجاهات المتعددة (٣) .

ولذا يمكن أن نعتبر أن هنالك دوافع خارجية ، تعمل على تقويتها ، لترشيد السلوك الإنسانى كالثواب والعقاب (٤) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٦٠.

(٢) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٦
د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة مصر ، القاهرة ، ص ٩

(٤) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧
برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦ - ٢١
د . سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٩٤ هـ ، (١٩٧٤ م) ص ٣٨ - ٣٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وإن الإنسان خليفة الله فى أرضه ، ولذا فهو يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، والذى بناء عليه كان مسئولاً عن عمله - كما سبق - ومن هنا فإنه يجب أن تكون له مثل هذه الدوافع الفطرية ، القابلة للتغيير والتعديل عن طريق التعليم ، والتى تعتبر - أيضاً - محك الرُّقى الإنسانى لمعالجة المواقف عن إرادة واختيار (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٤) .

وإن التصور للغايات هو الذى يرسم طريق الاستجابة (٥) ، وإن توظيف وتوجيه هذه الدوافع المعقَّدة للتدخلات المتعددة فى التأثير عليها ، تُوحى بأهمية التشريع السماوى للإنسان ، فى رسم التصور للغايات من جهة ، والقيم والمبادىء والفضائل من جهة أُخرى ، وما يمكن أن يصون ذلك من جهة ثالثة ، باستثمار الدوافع الإيمانية ، لتكون الدوافع نابعة من الداخل عن تصورات ثابتة ومستمرة للغايات ، وليست مجرد ضغوط خارجية متغيرة .

ويُقسِّم علماء النفس الدوافع المكتسبة إلى قسمين وهما :

(أ) الدوافع الشعورية :

وهى التى تكون عن وعى كصفات مكتسبة وثابتة ، لها تأثير فى

---

(١) البقرة : ١٧٩

(٢) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٥

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ (٤) البلد : ١٠

(٥) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٣

تكوين الشخصية كالعواطف : الحب والكره ، والحقد والحسد .. إلخ[1] .

وقد تكون هنالك عاطفة سائدة عند الإنسان دون غيرها ، فتؤثر على سلوكه أكثر من غيرها [2] ، مما يشير - أيضاً - إلى مدى تعقد هذه الدوافع .

قال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ، وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [5] .

(ب) الدوافع اللاشعورية :

وهى الدوافع التى لا يعى الإنسان بها ، ولكنها تؤثر على سلوكه كالعُقَد النفسية ، التى يطويها النسيان ، لتخفيف التوتر واختلال التوازن لدى الإنسان من المواقف المحزنة المصحوبة بشحنة انفعالية قوية [6] . وهذه نعمة من الله

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٩
د . محمد عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٢٦

(٢) محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٠
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٦

(٣) التوبة : ١٠٨ (٤) النساء : ١٩ (٥) البقرة : ١٠٩

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٨
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٨
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٦ - ٦٦

تعالى ، لأن الإنسان قد يُلاقى فى حياته مواقف مؤلمة ، لما يتمتع به من الحرية والإرادة والاختيار .

وبهذا نُدرك مدى التعقيد فى الدوافع الإنسانية ، ذات الطبيعة المزدوجة ، وقابليتها للتعديل والتغيير ، والتى هى ميزة الإنسان - خليفة الله فى الأرض - عن غيره من المخلوقات .

* * *

● الانفعالات :

إن الإنسان يتمتع بمجموعة من الدوافع الفطرية الموروثة والمكتسبة المتعلمة - كما سبق - ، وإن الاستجابة لإشباعها تكون مصحوبة - عادة - بحالة وجدانية ، تتمثل بتوتر وهيجان نفسى وعضوى ، ظاهرى وباطنى ، تساعد وتُسهِّل أو تُعَرقِل وتُعيق الاستجابة للدوافع (١) .

وهذا التوتر والهيجان هو ما يُعرف بالانفعال ، والذى يرجع إلى تقييم المثير ، والخبرات الانفعالية السابقة لدى الذات الإنسانية (٢) .

ولذا نجد الانفعال القوى الحاد الذى يهز الذات ، ويُفقدها القدرة على التفكير ، واستثمار القدرات العقلية ، والخبرات الانفعالية ، فيفقد الإنسان شيئاً من قدراته ، وإمكانياته فى حل المشكلة (٣) .

كما يحدث ذلك فى حالة الخوف الشديد والهلع ، ولقد جاء فى القرآن الكريم وصف لمثل هذه الحالات .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٢
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٥ - ٧٧

(٢) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥
برسيڤال سيمونذز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ - ١١٥

الأبْصَارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ ﴾ (٣) .

كما أن الانفعال قد يكون مُنَشِّطاً ، وباعثاً ومُنظِّماً للطاقة والحيوية لدى الذات ، لمواجهة الموقف بطاقة أقوى ، ومدة أطول ، ولو كان بالتأنى والتأجيل تجنباً للآثار السلبية التى قد تُصاحب الانفعال الحاد المتسرع (٤) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَومِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُاْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ، واعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ (٧) .

وإن القرآن الكريم حينما ينهى الإنسان عن الانفعال الشديد كالغضب ،

---

(١) الأحزاب : ١٠ - ١١ (٢) الأنبياء : ٤٠ (٣) النمل : ١٠

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٣

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٩

برسيڤال سموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ - ١١٥

(٥) الممتحنة : ٤ (٦) الفتح : ٢٩ (٧) التوبة : ١٢٣

والكُرْه ، والفرح ، فإنما ينهى عن الانفعال الظاهرى ، ذى الدرجة العالية ، الذى يُفقده السيطرة على أعضاءه الإرادية ، وقد يُفقده قدراته العقلية ، أو يُعَرِّضه إلى آثار سلبية أُخرى [١] .

ولذا فإن الانفعالات يجب أن تكون دائماً تحت الشعور الواعى وأن لا تظهر الانفعالات الخارجية - وإنما الداخلية - إلا فى الحالات النادرة ، كالخوف الشديد فى المواقف المفاجئة ، أو الإيجابية المتكاملة فى حدود الشرع [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٥] .

ولذلك يجب على الإنسان أن يعمل على تقليل كل الانفعالات الظاهرية العالية - كالغضب والفرح الشديدين - عن طريق السيطرة عليها ، تحاشياً للآثار السلبية [٦] .

---

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ ، ١٠٣
(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٩
(٣) آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ (٤) الشورى : ٣٦ - ٣٧
(٥) الشورى : ٤٠
(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١١٠

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١) .

عن أبى الأسود عن أبى ذر قال : كان يسقى على حوض له فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبى ذر ، ويحتسب شعرات من رأسه ، فقال رجل : أنا ، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض ، فقدمه وكان أبو ذر قائماً فجلس ، ثم اضطجع ، فقال له : يا أبا ذر ؛ لِمَ جلست ، ثم اضطجعت ؟ قال : فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإذا ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع » (٢) .

وعن أبى وائل - صنعانى مرادى - قال : كنا جلوساً عند عروة بن محمد قال : إذ دخل عليه رجل فكلمه كلاماً أغضبه ، قال : فلما أن غضب قام ، ثم عاد إلينا وقد توضأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية - وقد كانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من نار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٣) .

وعن عروة بن عبد الله الجُعفى يُحدِّث عن ابن حصبة - أو أبى حصبة - عن رجل شهد رسول الله ﷺ يخطب فقال : « ما الصُرعة » ؟ قالوا : الصريع . قال : فقال رسول ﷺ : « الصُرعة كل الصُرعة ، الصُرعة كل الصُرعة ، الرجل يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره ، فيصرعه غضبه » (٤) .

وأما الانفعال الداخلى فإن الإنسان قد لا يستطيع السيطرة عليه ولذا فهو لا يُحاسَب عليه إذا لم يخرج إلى الخارج فى توجيه السلوك ، عن طريق كتمه والسيطرة عليه (٥) .

---

(١) فصلت : ٣٤ (٢) رواه أحمد : جـ ٥ ص ١٥٢

(٣) رواه أحمد : جـ ٤ ص ٢٢٦ (٤) رواه أحمد : جـ ٥ ص ٢٦٧

(٥) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٩

عن عائشة ، أن النبى ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللّهم هذه قسمتى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ، ولا أملك » [١] .

ولذلك فإن لكل مثير انفعالاً يناسبه فى الدرجة والقوة ، سواء أكان الانفعال ظاهرياً أو باطنياً ، فهناك ما يحتاج إلى الانفعال الخفيف المُنشِّط للتفكير كالمسابقات العلمية [٢] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الانفعال الخفيف ، الذى يجعل الإنسان أقدر على التأمل والتفكير .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [٣] .

وهناك ما يحتاج إلى الانفعال الظاهرى والباطنى كالعرض العسكرى .

وقد يحتاج إلى الانفعال الخارجى أكثر كالهروب فى حالة المواقف المخيفة المفاجئة [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب النكاح ، باب : ما جاء فى التسوية بين الضرائر ، وقال الترمذى : رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبى قلابة مرسلاً وهذا أصح ، جـ ٢ ص ٣٠٤

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مصدر سابق) ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٢

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧٦

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ - ٦٧

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) الأنبياء : ١١ - ١٢

وليس هناك حدود لدرجة الانفعال يمكن تحديدها رياضياً ، لأنها تتأرجح بين الانفعال الشديد ظاهرياً وباطنياً ، والانفعال الخفيف ، وبين السار جداً والمحزن جداً ، أو بين المحبوب جداً والمكروه جداً ، وبين كل منهما مسافة طويلة ، مما يوضح مدى تعقد الخبرات الانفعالية ، وبالتالى فإن السلوك الإنسانى وتوجيهه أكثر تعقيداً [١] .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّى ، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [٦] .

وإن السلوك الإنسانى لا يوجهه دافع معين ليمكن تحديد انفعاله ، وإنما مجموعة من الدوافع ، فقد يُثيره دافع واحد ، وقد يُثيره دافعان أو أكثر فى آن واحد .

ولذا فإننا نجد أن الدافعين يمتزجان فى انفعال واحد ، كالحسد الذى يمثل الشعور السلبى فى الذات ، والغضب [٧] .

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٢) هود : ١٠ (٣) يوسف : ٨٤ (٤) الروم : ٣٦

(٥) البقرة : ١٦٥ (٦) النساء : ١٩

(٧) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٠

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٣) .

وقد يكون هنالك دافعان أو أكثر ، لكل منهما انفعاله الخاص به ، يتمالك الإنسان الواحد منهما تلو الآخر ، ليشعر بالتقلب والتذبذب السريع فى نفسه ، دون أن يستأثر به أحدهما (٤) .

وإن الإنسان الذى تُسيِّره دوافعه وانفعالاتها ، دون تقييم ، وتغيير ، وتنظيم ، سيكون سلوكه مضطرباً ، لا وحدة فيه ، ولا استقرار ... كالمعتوه .

فإذا لم يكن لديه ضوابط ، واتجاه ثابت للترجيح والتقويم بين دوافعه وانفعالاته ، يصبح سلوكه متوقفاً على شهواته ، وأهوائه ، وظروفه المتغيرة .

وإن مثل هذه الشخصية لا تكون لها صفة الثبات والاستقرار ، التى ترجع إليها فى تنظيم وضبط السلوك (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) النساء : ٥٤ (٢) البقرة : ١٠٩ (٣) سورة الفلق .

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٦ ، ١١١ - ١١٢

(٦) المؤمنون : ٧١

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٢) .

وإن الانفعالات التى يمر بها الإنسان فى حياته تبنى لديه خبرات انفعالية طويلة ، ترجع إلى عوامل داخلية أكثر من رجوعها إلى عوامل خارجية ، تعمل على التنظيم الكلى للفرد ، وتوجهه بحيث ينظر إلى الحياة بمنظارها لتتصل الحياة ماضيها بحاضرها ومستقبلها (٣) .

ولذلك يجب أن تكون هذه الخبرات الانفعالية الطويلة متكاملة وإيجابية ، كالأمل ، والتفاؤل ، والاطمئنان ، والحب ...

وقد تكون الخبرات الانفعالية الطويلة سلبية كاليأس والقنوط والزهو والكبرياء .....

وقال تعالى : ﴿ لاَ يَسْئَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) القصص : ٥٠ (٢) محمد : ١٤

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣٤ - ٣٣٦

(٤) فصلت : ٤٩ (٥) لقمان : ١٨ (٦) المنافقون : ٥

وإن الخبرات الانفعالية التى تتكوّن لدى الإنسان مع كل مثير للانفعال كحب التملك ، وحب السيطرة ... تُشكّل أسلوبه ، وطريقته ونهجه فى توظيف سلوكه ، ليتصف بعدة صفات أخلاقية إيجابية كالصدق ، والوفاء ، والجد ، والتواضع ، والصبر ، والقدوة الحسنة ، والاستقامة ، والتنافس الشريف ، وحسن الاستماع والاقتداء ، والطهارة من كل وسخ مادى أو معنوى ...

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، وكان يقول : « إن من خياركم أحسنكم اخلاقاً » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

وقد يتصف السلوك بصفات أخلاقية سلبية كالكذب ، والخداع ، والتكبر ، والنميمة ، والغيبة ، والحسد ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول ﷺ كان يدعو : « اللّهم إنى أعوذ بك من الشقاق ، والنفاق ، وسوء الأخلاق » (٣) .

كما أن الخبرات الانفعالية قد تنتقل من ذات المثير إلى ما يرتبط به ، أو ما حوله ، كانتقال حب الإنسان لزوجته ، أو كرهه لها ، إلى أهلها أو بلدها (٤) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن لمثل هذه الخبرات الانفعالية دوراً فى حب المشركين لأوثانهم وأصنامهم .

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة ، باب : صفة النبى ﷺ . جـ ٤ ص ١٦٦

(٢) القلم : ٤

(٣) رواه النسائى ، فى كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق - شرح سنن النسائى دار الكتب العلمية بيروت ، جـ ٨ ص ١٦٣ - ١٦٤

(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦ - ١٥٧

(٥) الأعراف : ٧٠

وبذلك ندرك شيئاً من الضعف الإنسانى ، فى مجال رسم منهجه فى الحياة ، فى مجال توظيف السلوك ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته [1] .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [7] .

ولكن هذا الإنسان الموصوف بهذه الصفات ، يوصف بأنه أكمل الخلق كما سبق فى قصة خلق الإنسان .

ولذلك يجب أن تكون انفعالات الإنسان شعورية واعية ، وليست عملية لا شعورية ، ليعى الفرد بها ، ويدركها ، ويستثمرها [8] .

---

(١) سيد سابق : عناصر القوة فى الاسلام (مرجع سابق) ص ٣٨ - ٤١

(٢) النساء : ٢٨ (٣) إبراهيم : ٣٣ - ٣٤ (٤) الإسراء : ١١

(٥) الإسراء : ١٠٠ (٦) المعارج : ١٩ - ٢٣ (٧) العاديات : ٦ - ٨

(٨) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٧٦

وإن اشتراط النية فى الإسلام ، فيما يقوم به من عمل تقتضى التنبيه للشىء ، والتفكير فيه قبل القيام به ، لتحقيق النضج فى الانفعالات ، وقد يكون هنالك استجابات مرجئة لا ينفذها الشخص فى الحال ، وإنما تحتاج إلى بعض الوقت للتروى والتفكير ، والشعور بالحرية فى القيام بالعمل ، والعزم على التنفيذ [١] .

عن علقمة بن وقّاص عن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال : « الأعمال بالنية ، ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله ، فهجرته إلى اللّه ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » [٢] .

ولذلك نرى أن القرآن الكريم قد أشار إلى أن الترف من الأسباب القوية للفسوق ، لأن الترف قد يجعل الإنسان لا يشعر شعوراً واعياً بقيمة انفعالاته ، أو يتجاهلها ، لأنه أشبع دوافعه فلم يعد يشعر بقيمتها الكاملة ، مما يجعله يُصاب بالملل ، والسأم ، وفقر الحياة ، والذى قد يدفعه إلى استغلال فعالياته الاقتصادية والاجتماعية ... فى سبيل استثارة طاقته النفسية ، كمشاهدة الأفلام المزعجة ، أو المشاركة فى الرياضات العنيفة ... وربما دفعه إلى ما هو أشد من ذلك من ارتكاب الفحشاء والمنكر [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [٤] .

والحياة الانفعالية تلعب دوراً رئيسياً فى تكوين الخبرات الانفعالية للأفراد ، والتى تعمل على تنشيط الطاقة النفسية وتجديدها ، لتجعل للحياة طعماً ، بإثرائها ، وتخفيف الملل ... [٥] .

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ١٥٩

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ، جـ ١ ص ٢٠

(٣) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

(٤) الاسراء : ١٦

(٥) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤
عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

كما تعمل على تنظيم وتوظيف السلوك فى بناء الهيكل الاجتماعى كحب الرجل لزوجته ، وحب الوالدين لأبنائهما ، وحب الإنسان لمجتمعه [١] .

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] .

وكذلك تعمل على إغناء وإثراء الحياة الاجتماعية بالخبرات المختلفة والمتكاملة والإيجابية لتغطية احتياجات المجتمع من الكفاءات المختلفة ، والمتنوعة من أفراده ، كل حسب إمكانياته ، وقدراته وخبراته ، فهنالك العالِم الذى أحب علمه ، وهنالك المهنى الذى أحب مهنته ... [٤] .

قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٥] .

وبهذا ندرك مدى خطورة الخبرات الانفعالية ، وأن المسيرة الإنسانية تلعب دوراً كبيراً فى هذه الخبرات ، ولا مأمن من الآثار السلبية لهذه الخبرات إلا بامتزاجها حول الواجب والشعور به [٦] ، عن طريق رسم التصورات الغائية

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٧٣
عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦
(٢) آل عمران : ١٤ (٣) الأنفال : ٦٢ - ٦٣
(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٧
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٦
(٥) الزخرف : ٣٢
(٦) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

العُليا ، والمنهج المؤدى إليها ، وأن لا تكون من صنع البشر ، الذين يتأثرون بخبراتهم الانفعالية بسلبياتها - كما سبق - وإنما بشريعة الله تعالى المتصف بالأسماء الحُسنى .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ، وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ (٢) .

وإن وجود التصورات والمنهج لوحدهما لا يكفيان ، ولكن لا بد من الصيانة المستمرة لهما عن طريق العبادات كخط دفاعى أول ، والعقوبات كخط دفاعى ثان ، ليشترك الإنسان مع شريعة الله تعالى فى إحلال النظام محل الفوضى بالحكمة والعمل ، والذى يؤدى به إلى الانضباط الذاتى فى أعلى مراحل الوعى ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو ، وهى درجة الإحسان (٣) .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ *

---

(١) الأعراف : ١٧٩ - ١٨١ (٢) الاسراء : ١١٠ - ١١١

(٣) حسن صعب : الإسلام والإنسان . دار العلم للملايين . بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ٨٤

(٤) العنكبوت : ٤٥

وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن رسم التصورات الأساسية العليا تُعطى الإنسان بعداً أقوى وأسمى ، لتخطى عقبات كثيرة تقف أمامه فى انطلاقته فى باب السعادة ، تكريماً له ، مما يمكن أن يبنيه المجتمع لديه من خبرات انفعالية سلبية (٣) .

فالإنسان بالعبادة يحيا حياة أفضل ، حياة حرة كريمة ، وإن الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... جزء من العبادة فإن لم تكن واجبة فهى محببة ، فالإسلام لا يسمح بالمزيد من العبادات المحضة كالصلاة والصوم .. على حساب الفعاليات الأخرى له ، وإلا فإنه سيتخلى عن الدور الكونى الذى أُريد له ، وهو إحلال النظام الإلهى فى الأرض وعمارتها (٤) .

وأستطيع أن أقول إن مكان الابتلاء والإمتحان للإنسان فى هذه الحياة ، إنما هو فى التحكم والترشيد لدوافعه وانفعالاته سواء أكانت فطرية أو مكتسبة ، مادية أو روحية ، لإيجاد التعادلية والاتزان فى الشخصية .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٥) .

* * *

(١) المعارج : ١٩ - ٢٧ (٢) البقرة : ١٧٩

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٥

د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر ، ترجمة محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٤) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٩١ - ١٩٥

(٥) الحجرات : ٧